Nadeem scene in the poetry of Abu Nawas

Dr. Hikmat Issa[*]
Issa Zareka[*]

(Received 1 / 7 / 2020. Accepted 18 / 10 / 2020)

□ ABSTRACT □

This research is an attempt to highlight an important scene in the poetry of Abu Nawas, as it carries values that have not been seen by many scholars. This scene illustrates the high standing of those who drink wine at Abu Nawas, and contributes to the disclosure of the highness of the drinker and the highness of his wine, and contributes also in refute the charges against Abu Al Nawas including Unbelief, Heresy, Debauchery, Populism and his Tribal inclination to Yemeni

Key Words: Abu Nawas, Wine, Scene, Wine-Drinker

[*] **professor , department of Arabic language, faculty of Arts and humanities, tishreen university, Latakia, Syria.**
[*] **postgraduate student at the masters level, of Arabic language, college of Arts and humanities, tishreen university, Latakia, Syria.**

مشهد النّديم في شعر أبي نواس

د. حكمت عيسى*

عيسى زريقه**

(تاريخ الإيداع 1 / 7 / 2020. قبل للنشر في 18 / 10 / 2020)

□ ملخّص □

هذا البحثُ محاولةٌ لتسليطِ الضّوءِ على مشهدٍ مهمٍّ في شعرِ أبي نواسٍ، بوصفِهِ حاملاً لقيمٍ غابتْ عن أنظارِ كثيرٍ منَ الدّارسين. ويوضّحُ ذلكَ المشهدُ المكانةَ السّاميةَ للنّدماءِ عندَ أبي نواسٍ، ويسهمُ في الكشفِ عن سموِّ صاحبِهِ، وسموِّ خمرتِهِ. ويسهمُ أيضاً، في دحضِ التّهمِ الموجّهةِ لأبي نواسٍ من كفرٍ، وزندقةٍ، وفجورٍ، وشعوبيّةٍ، وتعصّبٍ لليمانيّةِ.

الكلماتُ المفتاحيّةُ: أبو نواس، الخمر، المشهد، النّديم.

* أستاذ ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

** طالب دراسات عليا في مرحلة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

مقدمة:

لعلّنا لا نبالغُ إذا قلْنَا: إنَّ أبا نواسٍ رأسُ المُجدّدينَ في الشّعرِ العربيِّ، وحاملُ لوائِهِم، وهو الشّخصيّةُ الأبرزُ في المرحلةِ العبّاسيّةِ، وهو ـ باتفاقِ الدّارسين قديماً وحديثاً ـ أستاذُ الفنِّ الخمريِّ؛ فقد صوّرَ الخمرَ بأبهى حليها، وعاقرَها سحرةً، وصبوحاً، وقيلاً، وغبوقاً. رافقها منذُ بدايةِ خلقِها، مُذْ كانتْ عُنقُوداً في كرومِها، حتّى عُصِرَت، وتغزّلَ بسرمديّتها، وأسكنَها الأديرةَ والرّياضَ والقصورَ. وليسَ من المبالغةِ القولُ: إنَّ ديوانَهُ معجمٌ لأسماءِ الخمرِ وصفاتِها ونعوتِها. وصوّرَ أبو نواسٍ مجالسَ أُنسِ الخمرِ، وتأثيرَها، وحُسنَ بهجتِها، وتفنّنَ في وصفِ السّقاةِ والنّدماءِ.

والمتتبّعُ لمشهدِ النّديمِ في ديوانِ أبي نواسٍ يلحظُ أهميّتَهُ في بناءِ النّصِّ الشّعريِّ؛ وآيةُ ذلكَ، أنّكَ تكادُ لا تجدُ خمريّةً في ديوانِهِ إلّا وفيها ذكرٌ لهُ، والمتتبّعُ للدّراساتِ الّتي أُقيمت حولَ شعرِهِ يجدُ أنَّهَا على كثرتِها، لم تلاحق على نحوٍ وافٍ هذا المشهدَ الفنيَّ الّذي يُشكِّلُ ـ فيما يظنُّ الباحثُ ـ نواةَ القصيدةِ الخمريّةِ النّواسيّةِ بوصفِهِ حاملاً أبعاداً أخلاقيّةً واجتماعيّةً ودينيّةً وسياسيّةً؛ لذلكَ اتّخذَ البحثُ مشهد النّديمِ في شعرِ أبي نواسٍ موضوعاً لهُ.

أهميّة البحث وأهدافه:

تهدفُ هذه الدّراسةُ إلى استنطاقِ النّصِّ النّواسيِّ، ومحاورتِهِ للوقوفِ على خصائص ذلك المشهد؛ بغيةَ الإجابةِ عن الأسئلةِ الآتية:

- من هو النّديمُ؟ وما العلاقةُ الّتي تربطُهُ بأبي نواسٍ؟
- لماذا قدْ يستغني الشّاعرُ عن النّديمِ، فينادمُ الخمرَ؟
- لماذا قد يهجو أبو نواسٍ النّديمَ؟

ولم يكنِ الدّفاعُ عن أبي نواسٍ، أو تبرئتُهُ من التُّهمِ الموجّهةِ لهُ، من أهدافِ البحثِ، لكنَّ هذا المشهدَ ألزمَ الباحثَ بالوقوفِ عندَها؛ إذ أودعَ الشّاعرُ في مشهدِ النّديمِ ما يُثبِتُ بطلانَ تلك التّهمِ الّتي وُضِعَتْ من قِبَلِ المتحاملينَ عليه، ثمّ تبعَهُم أغلبُ الدّارسينَ، فراحوا يبحثون في ديوانِهِ عمّا يثبتُ زعمَهُم دونَ دراسةِ النّصوصِ، ومقارنتِهَا بسواها من قصائدِ الشّاعرِ.

منهجيّة البحث:

لبلوغِ البحثِ غايتَهُ المرجوّةَ، رأى الباحثُ الاعتمادَ على المناهجِ الّتي تساعدُ على ذلك، ولاسيما المنهجَ الاجتماعيَّ، والمنهجَ الوصفيَّ.

النتائج والمناقشة:

النّديمُ لفظٌ مشتقٌ من الجذرِ اللُّغويّ (ندم)، وهو اسمٌ مشتقٌ، صفةٌ مشبهةٌ باسمِ الفاعلِ تدلُّ على صفةٍ ثابتةٍ في الموصوفِ، فمن يُنعتُ بالنّديمِ ينبغي أنْ يكونَ قد اعتادَ المنادمةَ حتّى أصبحت وسماً عليه. ولذلك قالوا: إنَّ المنادمةَ مقلوبةٌ من المدامنةِ؛ لأنَّ النّديمَ يُدمِنُ الشُّربَ مع نديمه[1]. وقالوا: سُمّي النديمُ نديماً من النّدمِ؛ لأنَّه يُندمُ على فراقِهِ[1]. ويقال: "نادمتُ الرّجلَ نِداماً ومنادمةً وهو نديمي وهم نُدَمائي ونَدْماني وهو نَدْماني والجمعُ كالواحدِ"[2].

[1]– **المخصص، ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ،ج11، ص98.**

والنّديمُ هو القرينُ والجليسُ، وعلى المرءِ حُسْنُ تخيُّرِ جُلَّاسه؛ لأنَّهُ محسوبٌ عليهم. فمن يعاشرِ الكرامَ فهو منهم، ومن يعاشرِ اللّئامَ فهو منهم. وفي الحديثِ النّبويِّ: "المرءُ على دينِ خليلِهِ فلينظُرْ أحدُكُم من يخاللُ"[3]. وعن (سليمانَ بنِ داؤودَ) (ع) "لا تحكمُوا للرّجلِ بشيءٍ حتّى تنظرُوا مَنْ يخادنُ"[4]. وفي الحكمةِ: " قُلْ لِي مَنْ تعاشرُ أقلْ لكَ مَنْ أَنْتَ". وفي الشّعرِ يقولُ أبو نواسٍ (من الوافر)[5]:

وَإِنَّ المَرْءَ يَصْحَبُ كُلَّ جِيْلٍ وَيُنْسَبُ فِي المُدَامِ إِلَى النَّدِيْمِ

ومجالسُ الشَّرابِ تطيبُ بالنّدماءِ؛ فالنّديمُ مؤنِسٌ، وممتعٌ، ومنبِّهٌ، ومسلي الهمومَ، يقولُ أبو نواسٍ (من البسيط)[6]:

فسلِّ همَّكَ بالنَّدْمانِ في دَعَةٍ وبالعُقَارِ فهذا أهنأُ الأرَبِ[7]

ولذلكَ كانَ قُطباً من أقطابِ الشّرابِ الثّلاثةِ (الخمر، والسّاقي، والنّديم) في القصيدةِ النّواسيّةِ. وورد ذكرُهُ تصريحاً وتلويحاً، في مئتين وخمسَ عشرةَ قصيدةً. والمقصودُ بالتّصريحِ هو نعتُه بالنّديمِ، أو بأحدِ الألفاظِ الدّالةِ عليه؛ كالأخِ، والخليلِ، والصاحبِ، والفتى. والمقصودُ بالتّلويحِ الإشارةُ إليهِ باستخدامِ الضّمائرِ، كما في القصيدةِ الّتي مطلعُها (من البسيط)[8]:

يَا طِيْبَنَا وَقُصُوْرُ القَفْصِ مُشْرِفَةٌ فِيْهَا الدَّسَاكِرُ وَالأَنْهَارُ تَطَّرِدُ

ففي هذهِ القصيدةِ يصفُ الشّاعرُ أحدَ مجالسِ الشّرابِ، وبقاءَهُ فيه مع النّدماءِ من السّبتِ إلى الخميسِ، دونَ ذِكرِ لفظِ النّديمِ، أو إحدى المفرداتِ الدّالةِ عليهِ. وفي قراءةِ الأشعارِ النّواسيّةِ الّتي يذكرُ فيها النّديمَ، لا تستطيعُ أنْ تغفلَ عنِ الألفاظِ الدّالّةِ على النّديمِ، وعن هُويّتِهِ القوميّةِ، وعن صفاته، وعن آدابِ المنادمةِ وشروطِهَا.

1_الألفاظ الدّالّة على النّديم:

وهذهِ الألفاظُ هي: النّديمُ، الفتَى، الصاحبُ، الخليلُ، الأخُ. وقد وردتْ لفظةُ النّديمِ في شعرِهِ في إحدى وتسعينَ قصيدةً، مفردةً ومثنّاةً وجمعاً. فمثالُ ورودها مفردةً، قولُهُ (من الرمّل)[9]:

إِسْقِنِيْهَا يَانَدِيْمِي بِغَلَسْ لَاْ بِضَوْءِ الصُّبْحِ بَلْ ضَوْءِ القَبَسْ

ومثالُ ورودِها مثنّاةً، قولُهُ (من مجزوء الرّمل)[1]:

---

[1]– قطب السرور في أوصاف الخمور، الرقيق النديم (القيرواني)، ت: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، 1969م، ص285.

[2]– المخصص، ابن سيده، ج11، ص98.

[3]– مسند أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج14، ط1، 1999م،ص142، رقم: 8417.

[4]– الظّرف والظّرفاء (الموشّى)، محمد بن إسحاق بن يحيى الوشّاء، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1953م، ص16.

[5]– ديوانه، ت: إيفالد فاغنر، غريغور شولر، طبع على نفقة الجمعية الألمانية للبحث العلمي بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في مطابع دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1988م 287/3.

[6]– الديوان،53/3.

[7]– دعة: سعة العيش. الأرب: الغاية والمنتهى. (ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، بلا تاريخ، مادتا: ودع، أرب).

[8]– الديوان، 112/3.

[9]– الدّيوان، ج3، 172/197.

وَنَدِيْمَيْنِ أَطَالَا عَنْ سِوَى الفَتْكِ الصِّيَامَا

ومثالُ ورودِها جمعاً، قولُهُ (من الكامل)[2]:

نَبَّهْتُهُ بِيَدِي وَقُلْتُ لَهُ: انتَبِهْ يَا سَيِّدَ الخُلَطَاءِ وَالنُّدَمَاءِ

وليسَ النَّدامى عندَه في منزلةٍ واحدةٍ، وليسَ بالضّرورةِ أنْ يعرفَهُم كلَّهُم؛ فمنهم مَنْ يتعرَّفُه في مجالِسِ الشّرابِ. والنّديمُ المفضّلُ عندَه، هو ذاك الّذي تجتمعُ فيه مكارِمُ الأخلاقِ، يقولُ (من الوافر)[3]:

وَنَدْمَانٍ يَزِيْدُ عَلَى النَّدَامَى بِفَضْلٍ فِي المُرُوْءَةِ وَالسَّمَاحِ

إنَّ النّديمَ شخصٌ يشاركُ في الشّرابِ، ويؤنسُ، ويسلي الهمَّ، ولكنّه لا يرقى إلى منزلةٍ تؤهله للدّخولِ إلى مستودعِ الأسرارِ، ولذلك فإنَّ الشّاعرَ يتوقّفُ عن الشّرابِ مع النّدماءِ عند الاقترابِ من كشفِ الأسرارِ، يقولُ (من الطّويل)[4]:

فَلَـمَّا شَرِبْـنَاهَا وَدَبَّ دَبِيْبُـهَا إِلَى مَوْضِعِ الأَسْرَارِ، قُلْتُ لَهَا: قِفِي

مَخَافَةَ أَنْ يَسْطُوْ عَلَيَّ شُعَاعُهَا فَيُطْلِعُ نَدْمَانِي عَلَى سِرِّيَ الخَفِي

أمّا لفظة الفتى فأكثر استخدامها جاء جمعاً، وجاءت على صيغتين (الفتيةِ) في خمسةٍ وعشرين موضعاً، و (الفتيان) في أربعةَ عشرَ موضعاً.

وقد وردتْ هاتانِ اللّفظتانِ في القرآنِ الكريمِ مع فرقٍ دلالّيٍّ في الاستعمالِ؛ إذ استخدمَ القرآنُ لفظةَ (الفتيةِ) للدّلالةِ على الشّبابِ المؤمنينَ الصالحينَ الّذين أووا إلى الكهفِ، فكانوا بذلكَ أسيادَ أنفسِهم لرفضِهم الخضوعَ والعبوديّةَ للملكِ الجائرِ. قال تعالى: "**إذ أوى الفتيةُ إلى الكهفِ...**"[5] وقال : "**إنّهم فتيةٌ آمنُوا بربِّهم وزِدناهُم هدًى**"[6]. وذكر القرآن لفظةَ (الفتيانِ) للدّلالةِ على معنى العبوديّةِ والرِّقِّ، قال تعالى: "**وقالَ لفتيانِهِ اجعلُوا بضاعتَهُم في رحلِهِم**"[7]. فالفتوّةُ الّتي تتّصفُ بالإيمانِ والسّيادةِ، عبَّرَ عنها القرآنُ بلفظةِ (الفتيةِ). والّتي تتصفُ بالرّقِّ والعبوديّةِ، عبَّر عنها بلفظةِ (الفتيان)[8]. وتأسيساً على ما سبقَ، ونظراً إلى أنَّ أبا نواسٍ كان من أعلمِ النّاسِ باللّغةِ، وكان ذا علمٍ عميقٍ بالقرآنِ الكريمِ، يمكنُ النّظرُ إلى فتيتِهِ وفتيانِهِ من منظورِ المعنى القرآنيِّ، ففتيتُهُ سادةٌ خضعتْ لهُم رقابُ الصّناديدِ، يقولُ (من الطّويل)[9]:

نَعِمْنَا بِهَا مَعْ فِتْيَةٍ خَضَعَتْ لَهُمْ رِقَابُ صَنَادِيْدِ الكُمَاةِ البَطَارِقِ

لا بلْ إنَّ الدّهرَ طوعٌ لأمرهِم، يقولُ (من البسيط)[10]:

دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيْبُهُمُ إِلَّا بِمَا شَاؤوا

---

[1]– الدّيوان، 427/3.

[2]– الدّيوان، 26/3

[3]– الدّيوان، 414/3

[4]– خزانة الأدب وغاية الأرب، ياقوت الحموي، ت: عصام شقيقو، دار البحار، بيروت، لبنان، 2004م، ص17. هذان البيتان من أبيات أبي نواس الذائعة الصّيط، ولكنهما لم يردا في الديوان.

[5]– الكهف، 10.

[6]– الكهف، 13.

[7]– يوسف، 62.

[8]– ينظر: لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، سورية، ط1، 1992م، ص100–101.

[9]– الديوان، 220/3.

[10]– الديوان، 3/3.

وكانَ كثيراً ما يشبهُهُم بالنّجومِ كنايةً عن سيادتِهِم وسموِّهم. أمّا لفظة (الفتيان) فقد استخدمَهَا الشّاعرُ للدّلالةِ على معنى العبوديّةِ، فانظرْ إلى قولِهِ (من مجزوء الرّمل)[1]:

عُجْ بِفِتْيَـانِ اصطِبَـاحِ لَاْ بِفِتْيَانِ الصَّبَاحِ
نَحْوَ حَرْبٍ لَيْسِ يُخْشَى عِنْدَهَا كَلْمُ الجِرَاحِ

ففي سياقِ الحديثِ عن حربِ اللّذةِ في مقابلِ حربِ الموتِ يستخدمُ لفظةَ الفتيانِ، ومَنْ كانَ يقومُ بالحربِ على مرِّ العصورِ هم العبيدُ لا السّادةُ. ويتكرّرُ الأمرُ ذاتُهُ في قولِهِ (من الطّويل)[2]:

أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ مُصَافَحَةُ الطَّاسَاتِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
بِمَجْمَعِ فِتْيَانٍ يَبُوْحُوْنَ بِالهَوَى وَكُلِّ مُحِبٍّ صَادِقٍ غَيْرِ كَاذِبِ

والفتيةُ والفتيانُ هم مجموعةُ أشخاصٍ يعرفون بعضَهم، أو يجتمعونَ على أمرٍ ما. فإنْ لم يكونوا كذلك، لم يُطلقْ عليهم ذلكَ اللّقبُ؛ ففي قولِ أبي نواسٍ (من الطّويل)[3]:

إِلَى أَنْ طَرَقْنَا بَابَهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ فَقَالَتْ مَنِ الطُّرَّاقُ؟ قُلْنَا لَهَا: إِنَّا
شَبَابٌ تَعَارَفْنَا بِبَابِكِ لَمْ نَكُـنْ نَزُوْحُ بِمَا رُحْنَا إِلَيْكِ فَأَدْلَـجْنَا
فَإِنْ لَمْ تُجِيْبِيْـنَا تَبَدَّدَ شَمْلُـنَا وَإِنْ تَجْمَعِيْنَا بِالمُدَامِ تَوَاصَلْـنَا
فَقَالَتْ لَنَا: أَهْلَاً وَسَهْلَاً وَمَرْحَباً بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مَا أَرَى بِهِمُ أَفْنَا[4]

عندمَا سألتْهم صاحبةُ الحانةِ عن أنفسِهم، كانَ الجوابُ: نحنُ شبابٌ؛ لأنّهم التقُوا عندَ بابِهَا، وعندما اجتمعوا على أمرِ الشّرابِ، وقبلتْ الساقيةُ سقايتَهُم، تبدّل اللّفظُ إلى (الفتيانِ). ولكنْ لِمَ لَمْ يستخدمْ لفظةَ (الفتيةِ) بدلَ (الفتيانِ)؟! إنّ الجوابَ يكمنُ في ختامِ القصيدةِ، فقد اجتمعَ الثّلاثةُ على قلّةِ المالِ، فعرضوا على صاحبةِ الحانةِ أنْ تقبلَ أحدَهم رهينةً، فقبلت، وهذا يناسبُ معنى العبوديّةِ الّذي أُسلِفَ الحديثُ عنه:

فَقُلْنا لَهَا: جِئْنَا وَفِي المَالِ قِلَّةٌ فَهَلْ لَكِ فِي أَنْ تَقْبَلِي بَعْضَنَا رَهْنَا؟
فَقَالَتْ: بَلَى أَنْتَ الرَّهِيْنَةُ فِي يَدِي مَتَى لَمْ تَفُوا بِالمَالِ خَلَّدْتُكُ السِّجْنَا

أمّا لفظةُ (فتى) مفردةً، فقد ورت في موضعين، ودلّت على المقبلِ على اللّذةِ في كليهما، يقولُ (من البسيط)[5]:

لَمَّـا قَرَعْتُ عَلَيْهِ البَابَ أَوْجَلَهُ وَقَالَ بَيْنَ مُسِرِّ الخُوْفِ وَالرَّاجِي:
مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: فَتًى نَادَتْهُ لَذَّتُهُ فَلَيسَ عَنْـهَا إِلَى شَيْءٍ بِمُنْعَاجِ

أمّا الصّاحبُ والخليلُ فلفظتانِ متقاربتانِ في المعنى إلى درجةِ الخلطِ بينَهما، واستعمالِ إحداهما مكانَ الأخرى. والثانيةُ أعلى مرتبةً، وأعظمُ شأناً من الأولى؛ لقولهِ تعالى: "**واتّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلا**"[6]. وقولِ رسولِ اللهِ (ص): "لو كنتُ متّخذاً

[1]– الديوان، ج5، 177/176.
[2]– الديوان، ج5، 182/179.
[3]– الديوان، ج3، 273/318.
[4]– الأفن: ضعف العقل والرأي. (ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة أفن).
[5]– الديوان، 72/3.
[6]– النساء، 125.

خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنَّهُ أخي وصاحبي، وقد اتخذَ اللهُ عزَّ وجلَّ صاحبَكُم خليلا"[1]. وفي ديوانِ أبي نواسٍ تكرّرتْ لفظةُ الخليلِ الدّالةُ على النّديمِ مفردةً ومثنّاةً وجمعاً في تسعةِ مواضعَ. بينما تكررتْ لفظةُ الصّاحبِ الدّالةُ على النّديمِ في ثلاثةَ عشرَ موضعاً. وكان يستخدمُ لفظةَ (الأصحابِ) في حديثِهِ عن رحلاتِهِ إلى الحاناتِ، فمن ذلك قولُهُ (من الطّويل)[2]:

وَخَيْمَـةِ نَاطُـوْرٍ بِـرَأْسِ مُنِيْفَـةٍ تَهُـمُّ يَدَا مَنْ رَامَـهَا بِزَلِـيْـلِ[3]
حَطَطْنَـا بِهَا الأَثْقَالَ فَلَّ هَجِيْـرَةٍ عُبُوريَّةٍ تُذْكَـى بِغِيْـرِ فَـتِيْـلِ[4]
حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصِّبَا بِصَهْبَاءَ مِنْ مَاءِ الكُرُوْمِ شَمُوْلِ

ففي هذهِ الأبياتِ يعدلُ الشّاعرُ عن رحلتِهِ بسببِ الشّمسِ الحارقةِ إلى خيمةِ ناطورِ كرومِ العنبِ، ثمّ يسقي أصحابَهُ الخمرَ، ولأنّ السّياقَ سياقُ سفرٍ ورحلةٍ استخدمَ أبو نواسٍ لفظةَ الأصحابِ.

والنّديمُ الخليلُ عندَهُ أعظمُ شأناً من النّديمِ الصّاحبِ، وآيةُ ذلكَ أنّهُ لا يتحرّجُ من إعلانِ أسرارِهِ أمامَ الخليلِ، يقولُ (من الخفيف)[5]:

يَا خَلِيْلِيَّ قَدْ خَلَعْتُ عِذَارِي وَبَدَا مَا أُكِنُّ مِنْ أَسْرَارِي

وثمةَ دليلٌ آخرُ على أنَّ الخليلَ أقربُ إلى قلبِ أبي نواسٍ من الصّاحبِ، وهو استخدامُهُ لغةَ الخطابِ الرّسميِّ مع الصّاحبِ، وعدمُ استخدامِهَا مع الخليلِ، والإنسانُ عادةً لا يتكلّفُ في حديثِهِ مع المقرّبينَ إليهِ. ولتوضيحِ ذلكَ، انظرْ إلى الفرقِ في استخدامِ اللّفظتينِ، في قولِهِ (من الطّويل)[6]:

وَقُوْلَا إِذَا مَا الكَأْسُ ضُمِّنَ رَاحَتِي قُبِيْلَ تَحَسِّيْهَا: أَلَا هَـذِهِ الخَمْـرُ
فَإِن أَنْتُمَا يَـا صَاحِبِيَّ فَعَلْتُمَـا وَلَمْ تُكْنِيَا عَنْ اِسمِهَا وَجَبَ الشُّكْرُ

وقولِهِ (من مجزوءِ الرّمل)[7]:

يَا خَلِيْلِيَّ اشْرَبَاهَا وَاحْسُرَا فِيْهَا القِنَاعَا[8]

ففي الشّاهدِ الأوّلِ يطلبُ من صاحبِيهِ أنْ يجهرا باسمِ الخمرِ فقط، ويُوجبُ لهُما الشّكرَ، وهو خطابٌ رسميٌّ. وفي الشّاهدِ الثّاني، لا يكتفي بالجهرِ باسمِ الخمرِ فقط، بل يطلبُ من خليليه أنْ يشرباها جهاراً، ومع ذلك، لم يوجبِ الشّكرَ لهما بعداً عن التّكلّفِ.

---

[1]– صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991،ص،1855 ، رقم 2383.

[2]– الديوان، 288/3.

[3]– الناطور: حارس الكرمة. منيفة: هضبة مرتفعة. تهم: تعجز. الزليل: الانزلاق، أي تعجز يد من يحاول قطافها عن غايتها. (ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: نطر، همم، زلل).

[4]– فلّ هجيرة: أي أنهم التجؤوا إلى الخيمة منهزمين من حرارة الهجيرة، والهجيرة: الشمس. عبورية: تعبر من مكان إلى آخر. تذكى: تتقد. (ينظر: لسان العرب، مادة: عبر، هجر، ذكو).

[5]– الديوان، 149/3.

[6]– الديوان، 422/3.

[7]– الديوان، 205/3

[8]– احسرا فيها القناعة: أي اكشفاه، واشرباها مجاهرة.

ووردتْ ألفاظُ (الأخّ، والأخوّة، والإخوانِ) الدّالّةُ على النّديمِ في شعرِ أبي نواسٍ في اثني عشرَ موضعاً. وقد يقصدُ بها أشخاصاً بعينِهم، أو أشخاصاً غيرَ محدّدينَ. وإخوانُهُ هم إخوانُ المُدامِ، يقولُ ناصحاً، ونُصحُ الأخِّ واجبٌ، وعلى الأخِّ سماعُ النّصيحةِ (من الطّويل)[1]:

أَلَا قُلْ لِإِخْوَانِ المُدَامِ أَلَا اسْمَعُوا كَلَامِي فَإِنَّ النُّصْحَ يُرْعَى وَيُسْمَعُ

ومزيّةُ إخوانِهِ أنَّهُم يتعلّلونَ بالمدامِ الّتي تمازجُ بينَ قلوبِهِم، فينتفي البغضُ، ويسودُ الحُبُّ والوئامُ، يقولُ أبو نواسٍ (من الطّويل)[2]:

أَخِي قَـدْ مَضَى مِـنْ لِيْلِـنَا الـثُّلُثَـانِ وَنَحْنُ لِنَجْمِ الصُّبْحِ مُنْتَظِرَانِ
فَصَوِّبْ مِنَ الإِبْرِيْقِ فِي الكَأْسِ شَرْبَةً يُـعْـلُّ بِـهَا قَلْبَـانِ مُخْتَلِفَانِ

وإلفةُ القلوبِ تجعلُ القومَ إخواناً، قالَ تعالى: "**فَأَلَّفَ بينَ قلوبِكُم فأصبحْتُم بنعمتِهِ إخواناً**"[3]. ولمّا كانتِ الخمرُ تمازجُ القلوبَ، فلا ضيرَ في هتكِ الأسرارِ بينَ الإخوانِ، يقولُ (من الوافر)[4]:

وَتُؤْلِفُ بَيْنَ إِخْوَانِي وَبَيْنِي وَتُبْدِي مِنْ سَرَائِرَ كَامِنَاتِ

وأمَّا نسبُ إخوانِهِ فموصولٌ بالمحبّةِ والودِّ لا القوميّةِ والعِرقِ، يقولُ (من البسيط)[5]:

وَالقَوْمُ إِخْوَانُ صِدْقٍ بَيْنَهُمْ نَسَبٌ مِنَ المَوَدَّةِ مَا يُلْفِي بِهِ نَسَبُ

2_هُويّةُ النّديمِ القوميّةِ:

وندماؤه من حيثُ قوميّتُهم فرسٌ وعربٌ؛ أمّا الفارسيُّ فقد ذكَرَهُ في موضعين. وأمّا العربيُّ فقد ذكرَهُ في ستّةِ مواضعَ. وورودُ العربيِّ أكثرَ من الفارسيِّ لا يعني أنَّ الشّاعرَ يفضّلُ العربيَّ على الفارسيِّ، بل على العكسِ من ذلك، فهو يفضّلُ النّديمَ الفارسيَّ على العربيِّ. وهذا الأمرُ غيرُ مُستغرَبٍ عندَ من يقرأ شعرَهُ قراءةً سطحيّةً، ملصقاً تهمةَ الشّعوبيّةِ بأبي نواسٍ. يقولُ أبو نواسٍ مقارناً النّديمَ العربيَّ بالفارسيِّ (من الكامل)[6]:

رَاحَ الشَّقِيُّ عَلَى الرُّبُوْعِ يَهِيْـمُ وَالرَّاحُ فِيْ رَاحِي فَرُحْتُ أَهِـيْمُ
بِمُزَمْزِمِيْنَ غَـــدَوا عَلِيَّ بِسُدْفَـــةٍ وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الظّــلَامِ بَهِـــيْمُ
مُتَوَقِّرِيْنَ كَلَامُـــهُـمْ مَـا بَيْنَهُـــمْ رَمْزٌ يَـــزُمُّ خَنَاهُـــمُ مَـــفْـهُـــوْمُ[7]
نَادَمْتُهُمْ أَرْتَاضُ فِي آدَابِـهِـــــمْ وَالفُرْسُ عَدْوَى سُكْرِهُـمْ مَحْسُوْمُ[8]
وَلِفَارِسِ الأَحْـــــرَارِ أَنْفَسُ أَنْفُسٍ وَفَخَارُهُمْ فِي عِشْرَةٍ مَعْـــــدُوْمُ
وَإِذَا أُنَـادِمُ عُصْبَـةً عَـــرَبِيَّـــةً بَدَرَتْ إِلَى ذِكْـــرِ الفَخَارِ تَمِيمُ

---

[1]– الديوان، 362/3.

[2]– الديوان، 325/3.

[3]– آل عمران، 103.

[4]– الديوان، 68/3.

[5]– الديوان، 361/3.

[6]– الديوان، 290/3.

[7]– مزمزمين: الزمزمة: تراطن العجم. متوقرين: ملتزمين الوقار. يزم: من الزمزمة، يتكلم بكلام مفهوم عندهم، خفي على غيرهم.(ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادتا: زمزم، وقر)

[8]– عدوى سكرهم محسوم: أي يعادون السكر، فلا يفعلونه.

وَبَنُوْ الأَعَاجِمِ لَاْ أُحَاذِرُ مِنْـــهُمُ شَرَّاً فَمَنْطِــقُ شُرْبِـــهِمْ مَزْمُوْمُ[1]
لَاْ يَبْذَخُوْنَ عَلَى النَّدِيْمِ إِذَا انتَشَوا وَلَهُمْ إِذَا العُرْبُ اعْتَدَتْ تَسْلِيْمُ

إنَّ هذه الأبياتَ وأمثالَهَا تحظى بقبولٍ واسعٍ عند من يريدُ أنْ يبرهنَ على شعوبيّةِ أبي نواسٍ، ففيها ميلٌ واضحٌ للعنصرِ الفارسيِّ، ولكنَّه إذ يفضّلُ الفارسيَّ فإنَّه يفضّلُهُ لوقارِهِ، وتواضعِهِ، وتركِهِ الفخارَ، كما هو واضحٌ، وفي ذلك تطبيقٌ لقولِهِ تعالى: "**ولا تمشِ في الأرضِ مرحاً إنّك لنْ تخرقَ الأرضَ ولنْ تبلغَ الجبالَ طولا**"[2]. ولأنَّهُم لا يسكرونَ، فيعربدونَ، ويأذونَ مَنْ في المجلِسِ. فأبو نواسٍ لمْ يفضّلِ الفرسَ بوصفهم أشخاصاً، بل فضَّل عاداتِهم، ودعا إلى نبذِ العاداتِ البالية، وسخرَ من التَّناحرِ بينَ القبائلِ العربيّةِ؛ فـ (قيس و تميم)[3] قبيلتانِ عربيّتانِ عدنانيّتانِ، شكّلتَا معسكراً في مقابلِ المعسكرِ اليمنيِّ، ودارتْ حروبٌ طاحنةٌ بينَ المعسكرينِ أفنتْ كثيراً منهم[4]. وتجدُ في شعرِ أبي نواسٍ إشارةً واضحةً إلى السّخريةِ المبطّنةِ من الأعرابِ بسببِ إفناءِ ذاتِهم في حروبِهم القبليّةِ، كما في قولِهِ (من الطّويل)[5]:

فَلَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ تَدُوْرُ عَلَيْهُمُ كُؤُوْسُ المَنَايَا بِالمُثَقَّفَةِ السُمْرِ
تَحِيَّاتُهُمْ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَـــةٍ ظُبَى المَشْرَفِيَّاتِ المُزِيْرَةِ لِلقَبْرِ[6]

فإذا كانَ ذا فعلَ كؤوسِ المنايا، فانظرْ إلى فعلِ كؤوسِ الخمرِ (من المنسرح)[7]:

نُقْتَلُ سُكْرَاً أَلَيْسَ ذَا عَجَبَاً قَتْلَى يَعِيْشُونَ بَعْدَ سَاعَاتِ

فأبو نواسٍ فضَّل النّديمَ الفارسيَّ للأسبابِ الّتي ذُكرتْ، ولبُعدِهِ عن الثّرثرةِ وكثرةِ الكلامِ، يقولُ النّواسيُّ (من البسيط)[8]:

وَلَمْ أَزَلْ أَتَحَسَّاهَا بِزَمْزَمَةٍ مَعْ كُلِّ ذِيْ شَرَفٍ فِي الفُرْسِ سِكِّيْتِ[9]

والنّدماءُ العربُ في شعرِهِ، ينتسبونَ إلى قحطانَ وعدنانَ، فأمّا العدنانيُّ فقد وردَ في موضعين، فمن ذلك قولُهُ (من الخفيف)[10]:

يَا خَلِيْلِيَّ مِنْ بَنِي مَخْزُوِمِ عَلِّلَانِي بِمَاءِ بِنْتِ الكُرُوْمِ[11]

وأمّا القحطانيُّ فقد وردَ في أربعةِ مواضعَ، فمن ذلك قولُ أبي نواسٍ (من المنسرح)[1]:

---

[1]– مزمزم: مفهوم عندهم.

[2]– الإسراء، 37.

[3]– قيس: قبيلة عربية تنسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان. (ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج1، ط5، بلا تاريخ، ص10).

تميم: قبيلة تنسب إلى تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النصر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بنالياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. (ينظر: جمهرة أنساب العرب، ص12–13).

[4]– ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، منشورات جامعة بغداد، العراق، ج1، ط2، 1993م،ص495.

[5]– الديوان، 152/3.

[6]– ظُبَى: مفردها ظبية، وهو حد السيف. المشرفيّات : السيوف. المزيرة: الموجهة والمؤدية.

[7]– الديوان، 174/5.

[8]– الديوان، 65/3.

[9]– الزمزمة: تراطن الفرس. سكّيت: كثير الصمت والسكوت. (ينظر: لسان العرب، مادتا، زمزم، سكت).

[10]– الديوان، 287/3.

[11]– بنو مخزوم: قبيلة عربية تنسب إلى مخزوم بن يقظة مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النصر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. (ينظر: جمهرة أنساب العرب، ج2، ص12–14).

وَصَاحِبٍ زَانَ كُلَّ مُصْطَحِبٍ يُنْمَى إِذَا مَا انْتَمَى إِلَى اليَمَنِ[2]
بَاكَرْتُهُ وَالظَّلَامُ مُنْسَدِلٌ وَغُرَّةُ الصُّبْحِ بَعْدُ لَمْ تَبِنِ
قُمْ يَا خَلِيْلِي إِلَى المُدَامِ لِكَي نَطْرُدَ عَنَّا عَسَاكِـرَ الحَـــزَنِ

إنّ منْ يقرَأِ الأبياتَ السّابقةَ يلاحظْ دونَ عناءٍ عدمَ انحيازِ أبي نواسٍ للنّديمِ القحطانيِّ على حسابِ العدنانيِّ إلّا منَ النّاحيةِ العدديّةِ، ولا سيما أنّه ينعتُ القحطانيَّ والعدنانيَّ بالخليل . ويظنُّ الباحثُ، بل ويكادُ يجزمُ، أنَّ العصبيةَ النّواسيّةَ للقحطانيّةِ، ليست إلّا من قبيلِ التّعصبِ لكلِّ جديدٍ في الحياةِ، وخاصةً أنَّ "أغلبَ القبائلِ الّتي عدّهَا علماءُ الأنسابِ العربيِّ قحطانيّةً هي قبائلُ متحضرةٌ وليستْ بدويّةً"[3] . وعلى ذلكَ تكونُ القبائلُ العدنانيّةُ الّتي ذُكِرتْ في شعرِ أبي نواسٍ كنايةً عن القديمِ المرفوضِ، والقحطانيةُ كنايةً عن الجديدِ المقبولِ. والملاحظُ في شعرِهِ أنَّهُ لمْ يذمِّ العربَ، بلِ الأعاريبَ، وهذه اللّفظةُ الأخيرةُ تدلُّ على البداوةِ، يقولُ (من الوافر)[4]:

وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الأَعْرَابِ لَهْوَاً وَلَا عَيْشَاً فَعَيْشُهُمُ جَدِيْبُ

وفي ختامِ القصيدةِ، يقولُ:

فَأَيْنَ البَدْوُ مِنْ إِيْوَانِ كِسْرَى وَأَيْنَ مِنَ المَيَادِيْنِ الزُّرُوْبُ

3_صفات النّديم:

مَنْ يقرأْ أوصافَ السّاقي في شعرِ أبي نواسٍ، يجدْ أنّها ـ في معظمها ـ صفاتٌ جسديّةٌ تخبرُ عن حسنِهِ ورشاقتِهِ.

أمّا أوصافُ النّديمِ فمقتصرةٌ على الصّفاتِ المعنويّةِ غالباً؛ فلمْ يذكرْ أبو نواسٍ من الصّفاتِ الجسديّةِ للنّديمِ إلّا جمالَ الوجهِ وإشراقَهُ، وكانَ ذلك في تسعةِ مواضعَ، فمن ذلك قولُهُ (من الوافر)[5]:

فَرُبَّ صَحَابَةٍ بِيْضٍ كِرَامٍ بَهَالِيْلٍ غَطَارِفَةٍ صِبَاحِ[6]

وأمّا الصّفاتُ المعنويّةُ فكثيرةٌ؛ إذ كانَ يحرصُ أبو نواسٍ على إضفاءِ هالةٍ من القدسيّةِ على ندمائِهِ، ليتناسبوا مع قداسةِ خمرتِهِ. وكانَ يُعنى باختيارِ النّدماء الّذينَ يتصفونَ بأفضلِ الصّفاتِ وأتمِّها، وأكرمِ الخصالِ وأحمدِها. فندماؤه ـ كما يريدُهُم ـ مؤدّبونَ مُنزّهونَ عن العربدةِ واللّؤمِ، مُطهَّرونَ من سوءِ الخلقِ والرّذالةِ، كرماءٌ، شرفاءٌ، أسيادٌ. ولا يخفى على أحدٍ سموُّ هذهِ الصّفاتِ وشرفُهَا، وعلوُّ قدرِ من يتمتّعُ بها. ويرى (سليمان حريتاني) أنّ جميعَ نداماه يتحلّونَ بأخلاقٍ تماثلُ أخلاقَهُ[7]

---

[1]– الديوان، 331/3.

[2]– اليمانية كلها راجعة إلى ولد قحطان. (ينظر: جمهرة أنساب العرب،ج2، ص329).

[3]– فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص20.

[4]– الديوان، 44/3.

[5]– الديوان، 90/3.

[6]– بهاليل: ج بهلول وهو الضحوك. غطارفة: ج غطروف وهو السيد الشريف. صباح: يقال وجه صبيح: أي جميل. (ينظر: لسان العرب، مادة: بهل، غطرف، صبح).

[7]– ينظر: المتهتك الفاضل أبو نواس، شاعر الحداثة والخمرة والتمرد والاغتراب، سليمان حريتاني، تنوير للطباعة، حمص، سورية، ط1، 1996م، ص260.

لقد أخبرَ أبو نواسٍ في واحدٍ وعشرين موضعاً أنّ ندماءه أسيادٌ، ولمَّا كانتْ خمرتُهُ معتّقةً غابرةً في القِدمِ، كانَ يطلبُ لها الخاطبينَ الشّرفاءَ الأسيادَ، ذوي الحسبِ والنّسبِ؛ ليطمئنَ قلبُهُ أنَّ الخيرَ فيهم أصيلٌ، لا تغيّرُهُ أحداثُ الزّمانِ وعوادِيهِ، يقولُ (من الوافر)[1]:

وَمُنْتَسِبٍ إِلَى آبَاءِ صِدْقٍ خَطَبْتُ لَهُ مُعَتَّقَةَ الدِّنَانِ

وأَصالةُ النّسبِ تجعلُ النّديمَ أكثرَ اتّزاناً في رأي أبي نواسٍ، يقولُ (من مجزوء الرّمل)[2]:

وَنَدِيْمِي كُلُّ خِرْقٍ زَانَهُ عِتْقُ نُجَارِهْ[3]

وندمائُهُ سادةٌ شرفاءٌ لا يقصّرون عن فعلِ الفضيلةِ، يقولُ (من البسيط)[4]:

نَازَعْتُهَا فِتْيَةً غُرّاً غَطَارِفَةً لَيْسُوا إِذَا امتُحِنُوا يَوْمَاً بِأَنْكَاسِ[5]

ومن صفاتهم الأدبُ، والمقصودُ بالأدبِ هنا، معناهُ العامُّ لا الخاصُّ، وهو صفةٌ يتزيّنُ بها الإنسانُ، ويزدانُ بِها. والأدبُ لفظٌ جامعٌ لمعانٍ متعدّدةٍ، فهو يعني حسنَ الخلقِ، والتّنزّهَ عن الكبائرِ، والابتعادَ عن الفواحشِ، وغضَّ البصرِ، وقلّةَ الكلامِ، وتركَ الفخارِ. وقد نعتَ أبو نواسٍ ندماءه بالأدبِ في أربعةَ عشرَ موضعاً. فهم، كما يخبرُ عنهم، يترفّعُونَ عن الفاحشةِ ما ظهرَ منها وما بطنَ، ولا يأتونَ على ذكرِها ما حيوا، يقولُ (من الطّويل)[6]:

نَدَامَايَ طُوْلَ الدَّهَرِ خُرْسٌ عَنِ الخَنَا وَعُمْيٌ عَنِ العَوْرَاءِ نِزْهٌ عَنِ الكِبْرِ

ولا يبالغُ أبو نواسٍ في قولِهِ (طول الدّهر)، فهم شبُّوا على الأدبِ، ومَنْ شبَّ على شيءٍ شابَ عليهِ، يقولُ النّواسيُّ (من المنسرح)[7]:

شَبُّوا عَلَى أُدْبَةٍ كَأَصْوِرَةِ الـ ـمِسْكِ مُبَاحَاً تَتْرَى وَمُنْتَهَبَا[8]

ومن المعروفِ أنَّ مرحلةَ الشّبابِ هي المرحلةُ العمريّةُ الأكثرُ طيشاً، والأقلُّ اتّزاناً عند الإنسانِ، ولذلك يؤكّدُ الشّاعرُ في موضعٍ آخرَ أنْ ندامَاهُ موقّرونَ بأدبِهِم رغمَ أنَّهم في مرحلةِ الطّيشِ، يقولُ (من المنسرح)[9]:

فِي فِتْيَةٍ كَالسُّيُوْفِ هَزَّهُمُ شَرْخُ شَبَابٍ وَزَانَهُمْ أَدَبُ[10]

---

[1]– الديوان، 329/3.

[2]– الديوان، 139/3.

[3]– الخِرق: السخي الكريم، السريع للمعروف. العتق: الطويل التام. النُجار: النسب والأصل، وعتق النجار: كناية عن أصالة النسب. (ينظر: (ينظر: لسان العرب، مادة: خرق، عتق، نجر).

[4]– الديوان، 193/3.

[5]– أنكاس: النكس: من قصر عن غاية الكرم والنجدة.(ينظر، لسان العرب، مادة: نكس).

[6]– الديوان، 160/3.

[7]– الديوان، 385/3.

[8]– الأصورة: أوعية المسك وقطعه. تترى: متتابعة. منتهبا: متفرقة. تترى ومنتهبا: متفرقون ومجتمعون. (ينظر: لسان العرب: مادة: صور، صور، تري، نهب)

[9]– الديوان، 30/3.

[10]– شرخ الشباب: بدايته. (ينظر: لسان العرب، مادة: شرخ).

ومن صفاتهم الكرمُ والجودُ، ووردَ ذكرُهُما في أربعةَ عشرَ موضعاً، والكرمُ يعمُّ الجودَ ويشملُهُ؛ فالجوادُ هو المعطاءُ من غيرِ سؤالٍ[1]، أمّا الكريمُ فهو الجوادُ، والسيّدُ. والبخلُ ضدُ الجودِ، واللّؤمُ ضدُّ الكرمِ، وخمرةُ أبي نواسٍ مصروفةٌ عن البخيلِ واللّئيمِ، يقولُ مخاطباً ساقيتَهُ (من مجزوء الرّمل)[2]:

وَاصْرِفِيْهَا عَنْ بَخِيْلٍ دَانَ بِالإِمْسَاكِ دِيْنَا

ويقولُ (من الوافر)[3]:

وَلَا تَسْقِ المُدَامَ فَتًى لَئِيْماً لِأَنِّي لَا أُحَلِّلُ لِلَّئِيْمِ

ويعلّلُ مذهبَهُ بأنَّ أمَّ الخمرِ كريمةٌ، وبنتَها حكرٌ على خاطِبِهَا الكريمِ، يقولُ (من الوافر)[4]:

لِأَنَّ الكَرْمَ مِنْ كَرَمٍ وَجُوْدٍ وَمَاءُ الكَرْمِ لِلْرَّجُلِ الكَرِيْمِ

ولذلكَ كانَ أبو نواسٍ يتغنَّى بفرطِ كرمِهِ، وَكرمِ ندمانِهِ، إلى درجةِ بسطِ اليدِ كلَّ البسطِ، يقولُ (من البسيط)[5]:

قَالَتْ: مَنِ القَوْمُ؟ قُلْنَا مَنْ عَرَفْتِهِم مِنْ كُلِّ سَمْحٍ بِفَرْطِ الجُوْدِ مَنْعُوْتِ

وقد يكنّي عن كرمِ النّديمِ بالبحرِ، نحوَ قولِهِ(من الخفيف)[6]:

وَلَدَيْنَا المُهَذَّبُ ابنُ رَبَابٍ عِصْمَةُ المُعْتَفِيْنَ بَحْرُ البُحُوْرِ[7]

إنَّ الخمرَ والشحَّ لا يجتمعانِ، فشربُ الخمرِ يحتاجُ إلى بذلِ التّلادِ والأنشابِ، وهذا أبو نواسٍ يعترفُ بأنّه باع ملابِسَهُ للخمّارِ مرّةً، ورهنَ نفسَهُ مرّةً أخرى لقلّةِ ذاتِ اليدِ.

ويعترفُ بأنّ الخمرَ قد أفنتْ أموالَهُ، ولكنَّهَا لمْ تُذهِب بكرمِه، وماءِ وجهِهِ، يقولُ (من الطّويل)[8]:

فَإِنْ تَكُنِ الصَّهبَاءُ أَوْدَتْ بِتَالِدِي فَلَمْ تُنْسِنِي أُكْرُوْمَتِي وَحَيَائِي

وحينَ ينعتُ ندماءَه بالصّدقِ، فهو يريدُ مطلقَ الصّفاتِ المحمودةِ، وآيةُ ذلكَ أنَّه ذكرَ تلك الصّفةِ في ثلاثةَ عشرَ موضعاً، نكرةً مضافةً إلى النّدماءِ، والنّكرةُ تفيدُ العمومَ والشّمولَ. فمن ذلك قولُهُ (من الطّويل)[9]:

وَنَدْمَانِ صِدْقٍ بَاكَرَ الرَّاحَ سُحْرَةً فَأَضْحَى وَمَا مِنْهُ اللِّسَانُ وَلَا القَلْبُ

وكانَ أبو نواسٍ يختارُ النّدماءَ من ذوي العقولِ والرّأي، ومن أصحابِ الحلومِ الّتي تمكّنُهُم من كظمِ الغيظ ـ إنْ وُجِد ـ عندَ الشّدائدِ. ولعلَّ ذلك يعودُ إلى كرهِهِ الخلافاتِ، حرصاً منه على ألّا تقعَ في مجالسِ الشّرابِ، فيتعكّرُ الصّفو. ولذلك كانَ يرى أنَّ خيرَ النّدامى هم أصحابُ العقولِ، يقولُ (من الطّويل)[10]:

وَخَيْرُ النَّدَامَى سِتَّةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى فَخَمْسَةُ إِخْوَانٍ وَآخَرُ مُسمِعُ

---

[1]– ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت: محمد سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، 1997م، ص173.

[2]– الديوان، 316/3

[3]– الديوان، 287/3.

[4]– الديوان، 287/3.

[5]– الديوان، 62/3.

[6]– الديوان، 176/3.

[7]– العصمة: السوار. المعتفين: المتصفون بالعفة.

[8]– الديوان، 123/2.

[9]– الديوان، 39/3.

[10]– الديوان، 363/3.

وكانَ ينهى عن منادمةِ سخفاءِ العقلِ، يقولُ (من الوافر)[1]:

وَلَا تَجْعَلْ نَدِيْمَكَ فِي شَرَابٍ سَخِيْفَ العَقْلِ أَوْ دَنِسَ الأَدِيْمِ[2]

فسخيفُ العقلِ لابدَّ أنْ يكونَ بعيداً عن حدودِ الأدبِ والأخلاقِ، ولذلك يعطفُ هنا، بالتخييرِ بينَ سوءِ الخُلُقِ وسخافةِ العقلِ، فهما وجهان لورقةٍ واحدةٍ، وكانَ أبو نواسٍ يقولُ: "ما قُرِنَ شيءٌ إلى شيءٍ أحسنُ من عقلٍ إلى أدبٍ"[3].وإذا كانتِ الخمرُ تتمشّى في مفاصِلِ النّدماءِ داخلةً في تركيبِهم الدّاخليِّ، فإنَّ الحُلمَ يدخلُ في تركيبتِهِم الخارجيّةِ، فهو إزارٌ لهُم ، يقولُ (من الكامل)[4]:

فِي فِتْيَةٍ قَمَطُوا الخَنَا فَلِبَاسُهُمْ حِلْمٌ وَلَيسَ لِجَهْلِهِم آثَارُ

ولمَّا كانتِ الملابسُ تكسو جسدَ الإنسانِ دونَ رأسِهِ، تتوّجَ النّدماءُ بالحلمِ حتّى بعدَ الشّرابِ الّذي يُذهِبُ العقلَ عادةً، يقولُ (من السّريع)[5]:

تِيْجَانُهُمْ حِلْمٌ إِذَا مَا سُقُوا قَدْ فُصِّصَتْ بِالجُوْدِ وَالظَّرْفِ[6]

إنَّ صفاتِ النّدامى وشمائلَهُم تنفي ما يُشاعُ عنه من فجورٍ وفسوقٍ، ولو كانَ فاجراً فاسقاً لطلبَ لنفسِهِ نديماً يتّصفُ بتلكَ الصّفاتِ، وما أكثرَهُم في ذلكِ الزّمانِ، وفي كلِّ حينٍ. ولكنَّه أَبى إلّا أنْ يكونَ نداماه من طينتِهِ، ليكونوا أكفاءً للخمرِ، وهو القائلُ (من السّريع)[7]:

وَالخَمْرُ قَدْ يَشْرَبُهَا مَعْشَرٌ لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

فاختارَ أكفاءَ الكأسِ ممّن اتّصفوا بالصّفاتِ الكريمةِ، وأدركوا حقوقَ الكأسِ والمنادمةِ، وليسَ الأمرُ هنا، كما يسميه (العقّادُ) شهوةَ الظّهورِ والوجاهةِ عندَ أبي نواسٍ[8]؛ إذ كانَ أبو نواسٍ أشهرَ من علمٍ، ولم يكنْ في حاجةٍ إلى الشَهرةِ والوجاهةِ. وهذا (ابنُ منظورٍ) يروي عن (محمّدٍ بنِ عمرٍو) قولَه: "لم يكنْ شاعرٌ في عصرِ أبي نواسٍ إلّا وهو يحسدُهُ، لميلِ النّاسِ إليهِ، وشهوتِهِم معاشرتَهُ، وبعدِ صيتِهِ، وظَرفِ لسانِهِ"[9].

4_ النّديم من حيث الوظيفة:

لا يقتصرُ حضورُ النّديمِ في مجالسِ الشّرابِ على المشهدِ المكانيِّ، ومنازعةِ الشّرابِ، بل يتعدّى ذلك إلى الحضورِ الوظيفيِّ؛ فلا حبّذا النّديمُ المقتصرُ على الشّرابِ، الّذي يتحوّلُ معه المجلسُ إلى مجلسِ مللٍ وخمولٍ. وحبّذا النّديمُ المعلّلُ المسلّي الّذي يجعلُ المجلسَ يعجُّ بالنّشاطِ والحيويةِ. ولذلك كانَ يُستكرهُ أنْ تدورَ الرّاحُ بينَ اثنينِ، فإذا نهضَ

---

[1]– **الديوان، 287/3.**

[2]– **دنس الأديم: كناية عن سيئ الخلق. (ينظر: لسان العرب، مادة: دنس).**

[3]– **طبقات الشعراء، ابن المعتز، ت: عبد الستار أحمد فراخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، بلا تاريخ، ص204.**

[4]– **الديوان، 173/3.**

[5]– **الديوان، 208/3.**

[6]– **فصصت: فصّص الخاتم: رُكّب الفص فيه، ويقصد أن حلومهم مزيج من الظرف والجود. (ينظر: لسان العرب، مادة: فصص).**

[7]– **الديوان، 16/3.**

[8]– **ينظر: أبو نواس الحسن بن هانئ، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، مصر، بلا تاريخ، ص37.**

[9]– **أخبار أبي نواس، ابن منظور المصري، ت: محمد عبد الرسول إبراهيم، جمعه: عباس الشرعبني، مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ج1، ج1، 1924م، ص58.**

أحدُهُما بقي الثّاني وحيداً. وكانوا يفضّلونَ دورانَها بينَ ثلاثةٍ أو أربعةٍ[1]. وكانَ يُستكرهُ أنْ يزيدَ عددُ الشّاربينَ على خمسةٍ خمسةٍ خشيةَ الشّغبِ، يقولُ أبو نواسٍ (من السّريع)[2]:

ثَلَاثَةٌ فِي مَجْلِسٍ طَيِّبٍ وَصَاحِبُ الدَّعْوَةِ وَالضَّارِبُ
فَإِنْ تَجَاوَزْتَ إِلَى سِتَّةٍ أَتَاكَ مِنْهُمْ شَغَبٌ شَاغِبُ

ويبدو أنَّ شربَ الاثنينِ مكروهٌ لسببٍ آخرَ، يذكرُهُ أبو نواسٍ في شعرِهِ كثيراً، وهو أنَّ أحدَ الاثنينِ قدْ يأخذُهُ النّعاسُ، فيبقى الآخرُ وحده. فالتّنبيهُ هو أوّلُ وظائفِ النّديمِ، وقدْ تكررتْ هذهِ الوظيفةُ في تسعةَ عشرَ موضعاً، وكانَ أبو نواسٍ في الأغلبِ الأعمِّ هو الّذي ينبري لتلكَ المهمّةِ، فمنْ ذلكَ قولُهُ منبِّهاً نديمَهُ النِّمِلَ، بعدَ أنْ خفَّفَ النّومُ بعضَ سكرتِهِ (من البسيط)[3]:

نَبِّهْتُهُ بَعْدَ مَا حَلَّ الرُّقَادُ بِهِ عَقْدَاً مِنَ السُّكْرِ إِلَّا أَنَّهُ ثَمِلُ

وأغلبُ الظّنِّ أنَّ التّنبيهَ عندَهُ، هو تنبيهٌ من غفلةٍ، أو تنبيهٌ من واقعٍ مظلمٍ؛ وأمارةُ ذلكَ أنّ التّنبيهَ لم يردْ إلّا مقروناً بألفاظٍ دالّةٍ على النّورِ والضّياءِ، ونومُ النّديمُ دائِماً، كانَ بسببِ السّكرِ، والسّكرُ هو هروبٌ من الواقعِ، وذوبانٌ في عالمِ الشّاربينَ الخّاصِّ، وإيقاظُ النّائمِ لمْ يكنْ باستخدامِ لفظةِ (أيقظَ) الّتي تستدعي لفظةَ (النّومِ).

أمّا الوظيفةُ الثّانيةُ الّتي يقومُ بها النّديمُ، فهي وظيفةُ السّقايةِ، وقدْ تولّى النّديمُ هذهِ المهمّةَ في سبعةَ عشرَ موضعاً، فمنْ ذلكَ قولُ أبي نواسٍ مخاطباً نديمَهُ عَمْرَاً الورّاق (من مجزوء الكامل)[4]:

إِشْرَبْ ـ فُدِيْتَ ـ وَإِسْقِنِي حَتَّى أَمُوْتَ مَكَانِيَهْ

والغالبُ أنْ يقومَ النّديمُ بهذِهِ الوظيفةِ في آخرِ اللّيلِ، وبدايةِ الصّباحِ حين يهجعُ السّقاةُ إلى النّومِ، يقولُ (من الرّمل)[5]:

وَنَدِيْمٍ لَمْ يَزَلْ سَاقِيَنَا وَعَلَى الصُّبْحِ مِنَ اللَّيْلِ إِزَارُ

أمّا الوظيفةُ الثّالثةُ فهي الغناءُ، ووردَ ذكرُهَا في عشرةِ مواضعَ، وهي وظيفةٌ محمودةٌ، يقولُ (من الطّويل)[6]:

وَيُحْمَدُ فِي الإِخْوَانِ مَنْ كَانَ مُنْشِدَاً لِصُوْتٍ يُغَنِّيْهِ وَلَا يَتَمَنَّعُ

والوظيفةُ الرابعةُ هي التّسليةُ والفُكاهةُ والمُزاحُ رغمَ أنَّها قليلةُ الورودِ في ديوانِهِ؛ إذ إنّها وردتْ في موضعين فقط، فمن ذلكَ قولُهُ (من الطّويل)[7]:

وَنَدْمَانِ صِدْقٍ بَلْ يَزِيْدُ فُكَاهَةً عَلَى الصِّدْقِ لَمْ يَخْلِطْ مُؤَانَاتِهِ مَحْكَا[8]

ولعلَّ قِلَّةَ ورودِ هذه الوظيفةِ يعودُ إلى أنَّ كثرةَ المزاحِ غيرُ مستحبَّةٍ؛ لأنَّ المزاحَ "يذلُّ المرءَ، ويضعُ القدرَ، ويزيلُ المروءةَ، ويفسدُ الأخُوةَ"[9]. ويؤكّدُ أبو نواسٍ أنَّ كثرَ المزاحِ غيرُ مستحبٍّ بلفظٍ بارعٍ وأنيقٍ، في قولِهِ (من الكامل)[1]:

---

[1]– **ينظر: قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور، الرقيق القيرواني، ص308.**

[2]– **الديوان، 358/3.**

[3]– **الديوان، 254/3.**

[4]– **الديوان، 340/3.**

[5]– **الديوان، 180/3.**

[6]– **الديوان، 263/3.**

[7]– **الديوان، 224/3.**

[8]– **المؤاتاة والمواتاة: التقرب والتودد. المحك: الخصام والتكلم بالباطل. (ينظر: لسان العرب، مادتا: أتي، محك).**

[9]– **الظرف والظرفاء، الوشّاء، ص13.**

وَخَدِيْنِ لَذَّاتٍ مُعلِّلِ صَاحِبٍ يَقْتَاتُ مِنْهُ فُكَاهَةً وَمُزَاحَا

فالفعلُ (يقتات) في أصلهِ اللّغويِّ يدلُّ على القلّةِ والاكتفاءِ؛ لأنَّ القوتَ: هو ما يمسكُ الرّمقَ، وهذا يعني أنَّ ذلكَ النّديمَ يُعطي القليلَ من المُزاحِ، ممّا لا يُذهِبُ الفضلَ والمروءةَ.

5_آداب المنادمة:

لمَّا كانتْ مجالسُ الشّرابِ لا تستقيمُ إلّا بوجودِ النّديمِ، وكانَ النّديمُ محسوباً على نديمِهِ، كانَ لابدَّ من تخيِّرِ النّدماءِ، ممّنْ يعونَ حقوقَ الكأسِ و النّديمِ. وكانَ أبو نواسٍ يعتنِقُ دينَ المنادمةِ، ويدعو إلى تعاليمِهِ، وقد ذكرَ جُلَّ تلكَ التّعاليمِ في قولِهِ (من الوافر)[2]:

حُقُوْقُ الكَـأْسِ وَالنَّدْمَانِ خَـمْسٌ فَأَوُّلُهَا التَّزَيُّـــنُ بِالوَقَـارِ
وَثَانِيْهَا مُسَامَحَةُ النَّدَامَى وَكَمْ حَمَتِ المُسَامَحَةُ مِنْ دَمَارِ
وَثَالِثُهَا وَإِنْ كُنْتَ ابْنَ خِيْرِ الـ ـبَـرِيَّةِ مُحْتَـدِاً تَرْكُ الفَخَـارِ
وَرَابِعُهَـا وَلِلْـنَّدْمَـانِ حَـقٌّ سِوَى حَقِّ القَرَابَـةِ وَالجِـوَارِ
إِذَا حَدَّثْتَــهُ فَاكْسُ الحَدِيْـثَ الـ لَذِي حَدَّثْتَــهُ ثَوْبَ اخْتِصَــارِ
وَخَامِسُهَا يَـدِلُّ بِـــهِ أَخُوْهُ عَلَى كَـرَمِ الطَّبِيْعَةِ وَالنِّجَـارِ[3]
كَـلَامُ اللّيْلِ يَنْسَاهُ نَهَـارَاً فَإِنَّ الذَّنْبَ فِيْهِ لِلْعُقَـارِ
فَإِنْ حَكَّمْتَ كَأْسَكَ فِيْهِ فَاحْكُمْ لَـهُ بِإِقَـالَـةٍ عِنْـدَ العِثَارِ[4]

فتعاليمُ المنادمةِ هي الوقارُ، والرّزانةُ، والتّسامحُ، وتركُ الفخارِ، والاختصارِ في الحديثِ، والتّستّرِ على زلّات النّدماء. وبذلك تصبحُ المنادمةُ " قرابةً تغني عن قرابةِ النّسبِ"[5]. ومن آدابِ المجالسِ ألّا يجبرَ النّديمُ نديمَهُ على الشّرابِ أكثرَ من طاقتِهِ، يقولُ أبو نواسٍ (من الوافر)[6]:

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِنَدِيْمِ صِدْقٍ وَقَدْ أَخَـذَ النُّعَاسُ بِمُقْلَتَيْهِ
تَنَاوَلْهَا وَإِلَّا لَـمْ أَذُقْهَا فَيَأْخُذُهَا وَقَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْــهِ
وَلَكِنِّي أُدِيْرُ الكَأْسَ عَنْـهُ فَأَصْرِفُهَا بِغَمْـزَةِ حَاجِبَيْـهِ
وَأَحْبِسُهَا إِلَى أَنْ يَشْتَهِيْهَا وَآخُذُهَا بِرِفْقٍ مِـنْ يَدَيْـهِ
وَإِنْ مَدَّ الوِسَادَ لِنُوْمِ سُكْرٍ دَفَعْتُ وِسَادَتِي أَيْضَاً إِلَيْهِ

فليسَ من أخلاقِ أبي نواسٍ أنْ يجبرَ نديمَهُ على الشّرابِ عندما يكتفي منهُ وينعسُ، بل يعطيهِ وسادتَهُ ليهيئَ لهُ نومةً مريحةً. فإذا ما أفاقَ، وطلبَ الخمرَ دفعَهَا إليهِ. ومن النّصائحِ الّتي قدَّمَهَا أبو نواسٍ لنديمِهِ الإقلالَ من الشّرابِ؛ لأنَّ كثيرَهُ مدعاةٌ لعملِ الشّيطانِ، يقولُ (من الكامل)[1]:

---

[1]– الديوان، 76/3.

[2]– الديوان، 363/3_364. وتنسب للعطوي أيضا.

[3]– النّجار: الأصل و النسب.

[4]– الإقالة: المساعدة على النّهوض بعد التّعثّر.

[5]– أبو نواس الحسن بن هانئ، عباس العقاد، ص102.

[6]– الديوان، 359/3.

وَاحْذَرْ فُدَيْتَ كَثِيْرَهُ فَكَثِيْرُهُ سَرَجٌ عَلِيْكَ لِمَرْكَبِ الشَّيْطَانِ

ويقولُ مُحدّداً عددَ أقداحِ الشّرابِ (من الطّويل)[2]:

وَلَا خَيْرَ فِي شُرْبِ الفَتَى بَعْدَ سِتَّةٍ وَلَا عَيْشَ، إِنْ جَاوَزْتَ ذَلِكَ، يَنْفَعُ

ومن الآدابِ الّتي ذكرَهَا الشّاعرُ كفُّ اللّسانِ، وعدمُ استغيابِ النّاسِ، والانشغالُ بالخمرِ عن سواها، يقولُ (من الكامل)[3]:

فِإذَا خَلَوْتَ بِشُرْبِهَا فِي مَجْلِسٍ فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ عُيُوْبِ النَّاسِ

فِي الكَأْسِ مَشْغَلَةٌ وَفِي لَذَّاتِهَا فَاجْعَلْ حَدِيْثَكَ كُلَّـــهُ فِي الكَاسِ

إنَّ التحدُّثَ بعيوبِ النّاسِ مدعاةٌ لتعكيرِ صفوِ المجالسِ؛ لأنَّ ذلك سيؤدّي إلى الخلافِ، وتبادلِ السِّبابِ والشّتامِ، وهذا مُخِلٌّ بآدابِ المجالسِ، يقولُ (من الوافر)[4]:

إِذَا مَا كُنْتَ شَارِبَهَا فَشُرْبَاً عَلَى غِيْرِ الخِلَافِ وَلا التَّلَاحِي

ولذلكَ كانَ أبو نواسٍ يُحلِّلُ خمرتَهُ لمنْ يشبهُهُ منَ الفتيانِ، ممّنْ تنتفي في مجالِسِهم الخلافاتُ، يقولُ (من الطّويل)[5]:

لِمِثْلِي مِنَ الفِتْيَانِ حُلَّتْ أَخِي الخَمْرُ وَطَابَتْ لَهُ اللَّذَّاتُ وَاسْتَرْخَصَ السُّكْرُ

إِذَا كَانَ شُرْبِي لَا يُكَـــدِّرُ مَجْلِسِي وَلَا يَعْتَرِي فِيْـــهِ خِصَامٌ وَلَا هُجْـرُ

وأكثرُ ما يفسدُ مجالسَ الشّرابِ، وجودُ المُعربدِ فيها؛ لأنّهُ يؤذي النّدامى بفعالِهِ. وقد ذمَّ أبو نواسٍ النّديمَ في موضعينِ فقط، وفي كليهما كانَ النّديمُ معربداً، يقولُ (من الكامل)[6]:

مَا فِي النَّبِيْذِ مَــعِ المُعَرْبِدِ لَذَّةٌ وَابْــنٌ لِيحْيَى لَأْطِمٌ بِيَدِيْنِ[7]

رَيْحَانُهُ بِـــدَمِ الشِّجَاجِ مُلَطَّخٌ وَتَحِيَّةُ النَّدْمَانِ قَلْعُ العَيْنِ[8]

لَاْ تَشْرَبَنَّ وَجَعْفَرَاً فِي مَجْلِسٍ أَبَدَاً وَلَا تَحْمِلْ دَمَ الأَخَوِيْنِ

ويقولُ (من مجزوء الخفيف)[9]:

وَنَدِيْمٍ مُعَرْبِـدٍ مُفْسِدٍ كُلَّ مَقْعَدِ

إِنْ تُمَازِحْهُ بِاللِّسَا نِ يُمَازِحْكَ بِاليَدِ

فإذا كانَ مزاحُ المعربِدِ باليدِ، فبماذا يكونُ جِدُّهُ؟! وفضلاً عن أذيّة المعربدِ الشاربينَ، فهو يخلُّ بأبسطِ آدابِ المجالسِ أيضاً، فتحيّتُهُ لطمٌ باليدِ، وقلعٌ العينين. وإلقاءُ التّحيةِ واحدٌ من أهمِّ آدابِ المجالسِ؛ لأنّها تشركُ القومَ بالمبادرةِ والرّدِّ، وتُمْتِعُ الأُذنَ، يقولُ (من الوافر)[1]:

---

[1]– الديوان، 362/3.

[2]– الديوان، 363/3.

[3]– الديوان، 358/3.

[4]– الدّيوان، 414/3.

[5]– الدّيوان، 360/3.

[6]– الدّيوان، ج2، 117.

[7]– المعربد: الذي يؤذي نديمه بسكره، والعربدة: سوء الخلق، و الأذى على الشرب. (ينظر: لسان العرب، مادة: عربد). والنديم المعربد هنا: هو جعفر بن يحيى.

[8]– الشِّجاج: شاج القوم بعضهم: جرحوا بعضهم. (ينظر: لسان العرب، مادة: شجج).

[9]– الدّيوان، 409/1.

إِذَا استَقْبَلْتَهُ بِالكَأْسِ حَيَّا تَحِيَّةَ ذِيْ سَمَاحٍ وَارْتِيَاحِ

ومن آدابِ المنادمةِ صونُ العهدِ، وإظهارُ الودِّ، وكتمانُ السّرِّ، يقولُ أبو نواسٍ (من الطّويل)[2]:

وَلَا يَشْهَدَنَّ الشُرْبَ إِلَا عِصَابَـةٌ نُفُوْسُهُمُ نَفْسٌ دَنَوا أَوْ تَقَشَّعُوا[3]

إِنِ افْتَرَقُوا دَامُوا عَلَى العَهْدِ بَيْنَهُمْ وَيُحْمَدُ مِنْهُمْ بِرُّهُمْ إِنْ تَجَمَّعُوا

وَيُنْفَى لَدَيْهِـمْ سِفْلَةٌ وَمُعَرْبِـــدٌ وَمُبْدٍ لِأَسْرَارِ النَّدَامَى مُضِيِّعُ

كانَ أبو نواسٍ يتمتّعُ بآدابِ المنادمةِ، وكانَ يختارُ نداماهُ ممّن يعتنقونَ دينَ المنادمةِ، دينَ التّواضعِ، والحبِّ، وحفظِ الغيوبِ، وسترِ العيوبِ، ونبذِ الخلافاتِ. ولو أنَّ هذه الأمورَ تُطبَّقُ في أكثرِ المجتمعاتِ فُجوراً، لاستغنت عن الشّرطةِ، ولَأغلقَتْ المحاكمُ أبوابَهَا.

6_هجر النّديم:

إنَّ الاستغناءَ عن السّاقي فِي مجالسِ الشّرابِ، ولاسيما الخاصّةَ منها أمرٌ طبيعيٌّ؛ فقدْ يقومُ صاحبُ الدّعوةِ، أو النّديمُ بوظيفةِ السّاقي. أمّا الاستغناءُ عن النّديمِ فهو أمرٌ يستدعي الوقوفَ عندَهُ. فشعرُ أبي نواسٍ ينبئُ أنَّ الشّاعرَ كانَ يرتادُ الخمّاراتِ وحيداً مُستغنياً عن النّديم، وقَدْ يستغني عن السَاقي والنّديمِ معاً. وقد صرَّح أبو نواسٍ بهجرِهِ النّديمَ في قولِهِ (من الخفيف)[4]:

قَدْ هَجَرْتُ النَّدِيْمَ وَالنَّدْمَانَا وَتَمَتَّعْتُ مَا كَفَانِي زَمَانَا

ويقولُ مواسياً نفسَهُ، مُسلّياً ذاتَهُ (من الكامل)[5]:

لَا تَحْزَنَنَّ لِفُرْقَةِ الأَقْرَانِ وَاقْرِ الفُؤَادَ بِمُذْهِبِ الأَحْزَانِ[6]

والسؤالُ الّذي يطرحُ نفسَهُ: لماذا هجرَ أبو نواسٍ النّديمَ رغمَ عظيمِ شأنِهِ لديهِ؟

يقولُ صاحبُ (قطب السّرورِ) تحتَ عنوانِ: (بابٌ في أخبارِ الوحدةِ): "هذا البابُ لا يطرقُهُ إلّا من فقدَ نديماً أو خليلاً، وتبرَّم من معاشرةِ ثقيلٍ، فلزمَ الوحدةَ ضرورةً لأنَّها أدعى إلى السّلامةِ من مخالطةِ الإنسانِ غيرَ شكلِهِ ونظيرِهِ"[7]. ويرى صاحبُ الكتابِ أنَّ أبا نواسٍ هو أميرُ هذا البابِ وفارسُهُ.

وقد يقولُ قائلٌ: إنَّ مثلَ هذهِ الأشعارِ الّتي هجرَ فيها النّدماءَ، قد جاءت في آخرِ حياتِهِ بعدَ إعلانِ توبتِهِ، واتّباعِهِ مذهبَ الزّهدِ، هذا إنْ كانَ عاصياً أساساً، ولكنَّ البحثَ لا يرجِّحُ ذلك، ولاسيما أنَّهُ مع الرّأي القائلِ بتصوُّفِ أبي نواسٍ؛ فمن الواضحِ أنَّ أغلبَ قصائدِهِ الّتي صحّتْ نسبتُهَا إليهِ صوفيّةٌ بامتيازٍ. ويبدو أنَّ الدّافعَ إلى هجرِ النّديمِ عندَ أبي نواسٍ، هو ذاتُ الدّافعِ عندَ أبي الهنديِّ، الّذي قالَ (من الطّويل)[8]:

عَلَى مِثْلِهَا مِثْلِي يَكُوْنُ مُنَادِمِي فَإِنْ لَمْ أَجِدْ مِثْلِي خَلَوْتُ بِهَا وَحْدِي

---

[1]– الدّيوان، 414/3.

[2]– الدّيوان، 363/3.

[3]– دنوا: تجمعوا. تقشعوا: تفرقوا

[4]– الديوان، 352/3.

[5]– الديوان، 326/3.

[6]– اقرِ: أكرم. (لسان العرب، مادة: قري).مذهب الأحزان: يريد به الخمر.

[7]– قطب السرور، الرقيق القيرواني، ص368

[8]– ديوان أبي الهندي وأخباره، صنفه: عبد الله الجبوري، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، 1969م، ص25.

وفي مثلِ ذلكَ يقولُ أبو نواسٍ (من السّريع)[1]:

خَلَوْتُ بِالرَّاحِ أُنَاجِيْهَـا آخُـذُ مِنْهَـا وَأُعَاطِيْهَـا
نَادَمْتُهَا إِذْ لَمْ أَجِدْ مُسْعِدَاً أَرْضَاهُ أَنْ يُشْرِكَنِي فِيْهَا
شَرِبْتُهَا صِرْفاً عَلَى وَجْهِهَا فَكُنْتُ سَاقِيْهَا وَحَاسِيْهَا

ولمّا كانَ اللّفظُ واحداً، والمعاني متعددةً، كانَ من الواجبِ النّظرُ إلى تلكَ الأبياتِ من ذلكَ المبدأِ، فالمعنى الأوّلُ الّذي يريدُ الشّاعرُ إيصالَهُ هُنا، هو أنَّه هجرَ النّديمَ؛ لأنَّهُ لمْ يجد نديماً مناسباً. والمعنى الثّاني هو خصوصيّةُ تلكَ الخمرةِ الّتي يشربُها، وقدسيّتُهَا، وصوفيّتُها؛ بدليلِ مناجاةِ الخمرةِ، والأخذِ منها، وإعطائِهَا، ومنادمتِهَا، وشربِهَا صِرفاً. ويبدو أنَّهُ قدْ خشي على نفسِهِ من إذاعةِ الأسرارِ في عصرٍ كَثُرَ فيه ضعافُ النّفوسِ والمنافقونَ، فراحَ ينادمُ خمرتَهُ مستغنياً عنِ السّاقي والنّديمِ.

خاتمة:

لاحظَ البحثُ غيابَ الهُويّةِ الدّينيّةِ للنّديمِ عن المشهدِ، وتلكَ الهُويّةُ واضحةٌ في مشهدِ السّاقي؛ وسببُ غيابِها عن مشهدِ النّديمِ أنَّ المنادمةَ دينٌ في ذاتِها عندَ أبي نواسٍ؛ فاختار ندماءه ممّن يتحلّون بالمكارم، ويلتزمون آدابَ المنادمةِ. ولذلك تجده يهجو النّديم إنْ عربدَ، ويهجره دون أسفٍ عليهِ. ولاحظَ البحثُ أنَّ مرتَبتَيّ المنادمةِ والمصاحبةِ لا ترقيان إلى مرتَبتيّ المخالَلَةِ والأخّوةِ. كما لاحظَ سموَّ الصّفاتِ الّتي أُلصِقت بالنّديم، ونفى المشهدُ الشّعوبيّةَ والزّندقةَ والعصبيّةَ عندَ أبي نواسٍ.

Sources and references:

The Holy Quran.
1 Abu Nawas Al-Hassan Bin Hani, Abbas Mahmoud Al-Akkad, Hindawi Institution for Education, Cairo, Egypt, without history.
2 . Adverbs and Companions (Al-Mushi), Muhammad Ibn Ishaq Ibn Yahya Al-Washa, T: Kamal Mustafa, Al-Khanji Library, Cairo, Egypt, 2nd edition, 1953 AD.
3 . Akhbar Abu Nawas, Ibn Manzoor Al-Masry, T: Mohamed Abdel-Rasoul Ibrahim, Collected by: Abbas Al-Sharabni, Al-Etimad Press, Cairo, Egypt, c 1, 1924 AD.
4 . Dawn of Islam, Ahmed Amin, Scientific Books House, Beirut, Lebanon, 2006 AD.
5 . Detailed in the History of the Arabs before Islam, Jawad Ali, University of Baghdad Publications, Iraq, part 1, 2nd edition, 1993 AD.
6 . Diwan Abi Nawas, T: Ewald Wagner, Gregor Scholler, printed at the expense of the German Society for Scientific Research under the supervision of the German Institute for Oriental Research in Dar Sader Press, Beirut, Lebanon, I 1, 1988 AD.
7 . Diwan Abi Al-Hindi and its news, classified by: Abdullah Al-Jubouri, Al-Numan Press, Najaf Al-Ashraf, Iraq, 1969.
8 . Genealogy of the Ansab Al-Arab, Ibn Hazm Al-Andalusi, T: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Maarif, Cairo, Egypt, Part 1, 5th Edition, no history.
9 . Layers of Poets, Ibn Al-Mu'taz, T: Abd Al-Sattar Ahmed Farrakh, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 3rd floor, no history.
10 . Linguistic Differences, Abu Hilal Al-Askari, T: Muhammad Salim, House of Science and Culture, Cairo, Egypt, 1997 AD.

[1] – الديوان، 3/344-345.

11 Lisan alearab, Abn manzur, Dar Sader, Beirut, Lebanon, no history.
12 . Al-Mathak Al-Fadil Abu Nawas, Poet of Modernity, Wine, Rebellion, and Alienation, Suleiman Hreitani, Tanweer Printing, Homs, Syria, 1st edition, 1996 AD.
13 . Al-Musaas, Ibn Seedah, Al-Mussass, Ibn Seedah, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, without history.
14 . Musnad Ahmad bin Hanbal, T: Shuaib Al-Arnaout, Ibrahim Al-Zibak, Al-Risala Foundation, Beirut, Lebanon, vol. 14, I 1, 1999 AD.
15 . Quranic Latif, Salah Abd Al-Fattah Al-Khaldi, Dar Al-Qalam, Damascus, Syria, 1st edition, 1992 AD.
16 . The pleasure pole in the descriptions of wines, the slave Nadim (Kairouani), T: Ahmad Al-Jundi, Publications of the Arabic Language Academy, Damascus, Syria, 1969.
17 . Sahih Muslim, Muslim Al-Nisaboori, T: Muhammad Fouad Abd Al-Baqi, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1991.
18 . The Treasury of Literature and the End of God, Yacout Al-Hamwi, T: Issam Akhao, Dar Al-Bahar, Beirut, Lebanon, 2004 AD.

ثبت المصادر والمراجع باللّغة العربيّة:

القرآن الكريم.

1. أبو نواس الحسن بن هانئ، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، مصر، بلا تاريخ.
2. أخبار أبي نواس، ابن منظور المصري، ت: محمد عبد الرسول إبراهيم، جمعه: عباس الشرعبني، مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ج1، 1924م.
3. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج1، ط5، بلا تاريخ.
4. خزانة الأدب وغاية الأرب، ياقوت الحموي، ت: عصام شقيقو، دار البحار، بيروت، لبنان، 2004م.
5. ديوان أبي الهندي وأخباره، صنفه: عبد الله الجبوري، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، 1969م.
6. ديوان أبي نواس، ت: إيفالد فاغنر، غريغور شولر، طبع على نفقة الجمعية الألمانية للبحث العلمي بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في مطابع دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
7. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
8. طبقات الشعراء، ابن المعتز، ت: عبد الستار أحمد فراخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، بلا تاريخ.
9. الظّرف والظّرفاء (الموشّى)، محمد بن إسحاق بن يحيى الوشّاء، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1953م.
10. فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م.
11. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت: محمد سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، 1997م.
12. قطب السرور في أوصاف الخمور، الرقيق النديم (القيرواني)، ت: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، 1969م.
13. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، بلا تاريخ.
14. لطائف قرآنية، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، سورية، ط1، 1992م.

15. المتهتك الفاضل أبو نواس، شاعر الحداثة والخمرة والتمرد والاغتراب، سليمان حريتاني، تنوير للطباعة، حمص، سورية، ط1، 1996م.
16. المخصص، ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج11، بلا تاريخ.
17. مسند أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج14، ط1، 1999م.
18. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، منشورات جامعة بغداد، العراق، ج1، ط2، 1993م.